تقـديم

ولد هيرتزل فى بوادبست ـ المجر فى عام ١٨٦٠م.

قال إنه أحس بوطأة معاداة السامية منذ مراحل عمره الأولى، أثناء ذهابه للمدرسة الثانوية... وإلى أن عمل مراسلاً صحفيّا فى باريس...

ثم جاءت قضية اتهام الضابط الفرنسى اليهودى دريفوس بالتجسس لتفجر فيه ـ حسب قوله ـ صهيونيته.

أيقن هيرتزل بأن مسألة ذوبان اليهود فى مجتمعاتهم الأوروبية، وحتى فى أمريكا، وقبول تلك المجتمعات لهم ما هى إلا سراب، وأن التنوير الأوروبى والكلام عن حقوق الإنسان والمواطنة لن يجدى فى أن يعيش اليهود كمواطنين من الدرجة الأولى، وتوصل إلى أن الحل هو إنشاء دولة يهودية، تجمع يهود العالم، وليس هناك أجدر من فلسطين، أرض الميعاد، بذلك.

صدرت الطبعة الأولى للكتاب عام ١٨٩٦م باللغة الألمانية فى ڤيينا، والترجمة التى بين يدى القارئ هى عن الترجمة الإنجليزية التى نشرها مجلس الطوارئ الصهيونى الأمريكى.

والكتاب هو مشروع يهودى فى نهاية القرن التاسع عشر لإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، ذلك المشروع الذى تحقق عام ١٩٤٨م، وإلى الآن.

عـادل المعلـم

تمهيـــد

قد يتعجب بعض القراء عندما يطالعون كتاب هيرتزل «الدولة اليهودية» ويجدونه يشتكى ويكرر شكواه من اضطهاد أوروبا وأمريكا لليهود، فى زمانه، وقبل زمانه، بل حتى وفى توقعاته للمستقبل، فى أن يستمر اضطهاد اليهود فى كل مكان يحلون فيه، كما كان الحال دائمًا حسب قوله.

فقد اعتاد العرب والمسلمون، بل ومعظم العالم، على انحياز أوروبا الغربية الكبير لإسرائيل ـ دولة اليهود ـ والانحياز الأمريكى شبه المطلق لإسرائيل.

لذلك التحيز بداية، وكل ما له بداية، فله نهاية. ولنبدأ معًا القصة متعددة الجذور، فمنها جذر دينى، قائم على الكتاب المقدس، ومنها جذر علمى، قائم على الداروينية الاجتماعية التى تقول بالبقاء للأصلح، ومنها ما هو شوڤينى وإمپريالى، يسعى وراء المصالح ويتلمس لها المبررات هنا وهناك، ولنبدأ بالجذر الأقدم... الكتاب المقدس وآثاره على أوروبا الغربية وأمريكا، وأهم الشخصيات التى لعبت أدوارًا مؤثرة فى إنتاج كتاب هيرتزل «الدولة اليهودية» وفى قيام دولة إسرائيل اليهودية.

العهـد القديم

كما يعرف أكثرنا، يؤمن بالعهد القديم من الكتاب المقدس اليهود والمسيحيون، ويذكر الكتاب المقدس أن إسرائيل هو شعب الله المختار، وأن الله وعد إبراهيم بالأرض المقدسة، ويرث إبراهيم ابنه إسحاق، وليس ابنه الأكبر إسماعيل، فهو **ابن الجارية**، وفى ذلك إيحاء طبقى وعنصرى واضح، ويرث إسحاق يعقوب، وليس عيسو ابنه الأكبر، ويرث أولاد يعقوب (إسرائيل) الأرض المقدسة، وهم **شعب الله**

المختار(*)، وبقية الناس هم الأغيار، الذين تحكى روايات الكتاب المقدس الأوامر الإلهية المتكررة عشرات المرات بإبادة كل أولئك الأغيار: رجال ونساء وأطفال وشيوخ، وإبادة وإحراق قراهم بالكامل، وفى بعض الأحيان قتل حتى حيواناتهم(**).

الأمر الذى أكده حاخامات إسرائيل فى غزوها للبنان عام ٢٠٠٦م، عندما صرحوا بأن من حق جيش إسرائيل قتل المدنيين أطفالاً ونساءً، وأن الفارق بين روح اليهودى وروح الأغيار أكبر من الفارق بين روح الأغيار وروح الحيوانات، فإسرائيل شعب الله المختار.

كذلك ينمى التأويل الانتقائى لقصة نبى الله نوح فكرة العنصرية لدى بعض اليهود والمسيحيين، ونصها كما جاء فى الكتاب المقدس تحت عنوان لعن **كنعان ومباركة سام**:

واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عرى أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجا. فأخذ سام ويافث رداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقرى إلى داخل الخيمة، وسترا عرى أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عريه. وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله به ابنه الصغير قال: «ليكن كنعان ملعونا، وليكن **عبد العبيد لإخوته**». ثم قال: «تبارك الله إله سام. وليكن **كنعان عبدا له**. ليوسع الله ليافث فيسكن فى خيام سام. وليكن **كنعان عبدا له**» [سفر التكوين، ٩ : ٢٠ ـ ٢٧].

وربما يتساءل البعض لماذا لعن كنعان وليس أباه؟ وهل تلك الحادثة تستلزم مثل هذا اللعن وأن يصبح كنعان (أى العرب فيما بعد، والآخر عمومًا، رغم أن العرب ـ طبقًا للكتاب المقدس ـ أبناء سام أيضًا) عبدًا لسام، أى لإسرائيل [ثم للكنيسة بعد ذلك] فى الضمير المسيحى واليهودى، والإعلام الغربى؟

(*) برغم أنه طبقًا للكتاب المقدس، جاء أولاد يعقوب، أو بنو إسرائيل، من أربع زوجات ليعقوب، اثنتان منهما جاريتان.

(**) «فإذا أسقطها الربُّ إلهكم فى أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف» [التثنية، ٢٠ : ١٣].
«أما مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا فلا تستبقوا فيها نسمة حية» [التثنية، ٢٠ : ١٦].
«ودمروا المدينة واقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير» [يشوع، ٦ : ٢١].

سيطرت فكرة شعب الله المختار فى مقابل الأغيار، وأرض الميعاد، على الثقافة اليهودية، وصارت أحد أعمدتها.

وبعد رسالة المسيح، **اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية أنها أصبحت شعب الله المختار**، بعد أن رفض اليهود المسيح، ومن هنا تجسدت النظرة العنصرية فى أوروبا الكاثوليكية ضد الآخر، أو الأغيار، الذين هم كل من خارج الكنيسة الكاثوليكية، حتى لو كانوا مسيحيين، ومن هنا نشأ اضطهاد اليهود فى أوروبا على يد الكنيسة، ونشأ اضطهاد أقباط مصر، بل واضطهاد طوائف مسيحية أوروبية خالفت الكنيسة، ولم يقف الأمر على الاضطهاد، بل تعداه إلى مختلف أنواع التعذيب والقتل على الخازوق وحرقًا، كما تزخر بذلك المؤلفات المسيحية.

وكما أساء بعض من اليهود تأويل فكرة شعب الله المختار فى مقابل الأغيار، أساء بعض المسيحيين فى الغرب تأويل فكرة شعب الله المختار، وأضافوا إليها مفهوم قصة المرأة الكنعانية كما جاءت فى العهد الجديد، لتبرير عنصريتهم:

إيمان المرأة الكنعانية

«ثم غادر يسوع تلك المنطقة، وذهب إلى نواحى صور وصيدا. فإذا امرأة كنعانية من تلك النواحى، قد تقدمت إليه صارخة: «ارحمنى يا سيد، يا ابن داود! ابنتى معذبة جدًا، يسكنها شيطان». لكنه لم يجبها بكلمة. فجاء تلاميذه يلحون عليه قائلين: «اقض لها حاجتها. فهى تصرخ فى إثرنا!» فأجاب: «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل» ولكن المرأة اقتربت إليه، وسجدت له، وقالت: «أعنِّى يا سيد!» فأجاب: «ليس من الصواب أن يؤخذ خبز البنين ويطرح لجراء الكلاب!» فقالت «صحيح يا سيد؛ ولكن جراء الكلاب تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أصحابها!» فأجابها يسوع: «أيتها المرأة، عظيم إيمانك! فليكن لك ما تطلبين!» فشفيت ابنتها من تلك الساعة!» [إنجيل متى، ١٥: ٢١: ٢٨]، [إنجيل مرقس، ٧: ٢٤: ٣٠].

فها هو الرب يسعى وراء بنى إسرائيل، ويرفض أن يسع المرأة الكنعانية برحمته، إلا بعد تشبيهها بالكلاب، وبعد إصرارها على الأكل من فتات مائدة الشعب المختار كما تأكل الكلاب من فتات المائدة(*)، فما أوسع الفارق بين من يسعى الله وراءه ومن يسعى وراء الله.

تزايد استبداد الكنيسة الكاثوليكية فى مختلف مجالات الحياة: دين، وثقافة، وعلم، وتجارة، وسياسة، وحتى الجنس والشذوذ.

ومع زيادة الاستبداد، زاد الفساد، وعن ذلك قال اللورد الإنجليزى إكنر مقولته الشهيرة:

« السلطة مفسدة، والسلطة المطلقة فساد مطلق».

ظهر مارتن لوثر فى مطلع القرن السادس عشر، فى محاولة لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية، وإنهاء استبدادها وفسادها وتعاليمها التى رأى أنها ليست من الكتاب المقدس، ولكن انتهى الأمر بأن حرمه البابا وحاكمه، فانشق عن الكنيسة وأعلن أن البابا عدو المسيح، وظهرت البروتستانتية، والتى عماد اختلافها عن الكاثوليكية فى رجوع الأولى للكتاب المقدس كالمصدر الرئيسى والأوحد للمسيحية، وسمحت لكل المسيحيين باقتنائه وتفسيره بعد أن كانت الكنيسة حتى القرن السابع عشر تحرم ذلك، وتعاقب المسيحى الذى ليس من رجالها إذا وجدت لديه نسخة من الكتاب المقدس.

نشبت الحروب الدينية فى أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت، واستمرت واستمر اضطهاد كل طائفة للأخرى حتى منتصف القرن التاسع عشر، حتى أن رسالة التسامح لجون لوك، أحد أهم فلاسفة إنجلترا وأوروبا، وأكثرهم تسامحًا، والذى تأثر به آباء الثورة الأمريكية ووضعوا دستورهم على الكثير من أفكاره، استثنت رسالته فى التسامح (فى نهاية القرن السابع عشر) الكاثوليك واليهود والمسلمين من الفئات التى يجب أن يشملها التسامح، أى أن فيلسوف التسامح فى

(*) فى البداية، شبه مارتن لوثر المسيحيين بالكلاب الذين عليهم أن يأكلوا من فتات موائد اليهود، ثم عاد بعد ذلك يهاجم اليهود، وطالب بإحراق كتبهم وإغلاق معابدهم، بل طردهم من ألمانيا.

ذروة عصر التنوير الإنجليزى والأوروبى، كان يتكلم عن التسامح بين الطوائف البروتستانتية(*).

(*) سوف نقتبس هنا فقرات لكتاب يهود ومسيحيين عن معاملة المسلمين لليهود والمسيحيين:

١ـ المفكر والناشط اليهودى الإسرائيلى، وعضو الكنيست الإسرائيلى لدورتين، يورى أفنيرى، كتب تعقيبًا على محاضرة البابا الحالى بندكت عن الإسلام، وأن الإسلام انتشر بالسيف، فقال:

فى خطابه الذي ألقاه فى جامعة ألمانية، أراد البابا أن يثبت أن هناك فرقًا جوهريا بين المسيحية والإسلام: فبينما ترتكز المسيحية على المنطق، فإن الإسلام ينكره. بينما يرى المسيحيون منطقا فى أعمال الله، ينكر المسلمون أى منطق فى أعمال الله.

بصفتى ملحدًا يهوديًا، أنا لا أنوى أن أجر نفسى فى هذا النقاش. غير أنى غير قادر على التزام الصمت حيال مقطع واحد من خطابه، متعلق بى كإسرائيلى يعيش فى خط الجبهة فى «حرب الحضارات».

لكى يثبت انعدام وجود المنطق فى الإسلام، يدعى البابا أن النبى محمدًا قد أمر أتباعه بنشر دينه بقوة السيف، وهذا أمر غير منطقى، على حد تعبير البابا؛ لأن الروح هى مصدر الإيمان وليس الجسد، وكيف يمكن للسيف أن يؤثر على الروح؟

يسوع المسيح قال: «تعرفونهم من ثمارهم». علينا أن ننظر إلى تعامل الإسلام مع الديانات الأخرى حسب اختبار بسيط: كيف تصرفوا خلال أكثر من ألف سنة، بينما كانت القوة بين يديهم، وكان بمستطاعهم «نشر دينهم بقوة السيف». هم لم يفعلوا ذلك. لقد سيطر المسلمون فى اليونان طيلة مئات السنين. هل اعتنق اليونانيون الإسلام؟ هل حاول أى شخص إدخالهم فى الإسلام؟ على العكس، لقد شغل اليونانيون وظائف كبيرة فى الحكم العثمانى. كما أن شعوب أوروبا المختلفة، مثل البلغاريين، والصرب، والرومانيين، والهنغاريين، الذين عاشوا فترات طويلة تحت حكم الأتراك، قد تشبثوا بدينهم المسيحى. إن أحدا لم يجبرهم على اعتناق الدين الإسلامى، وظلوا مسيحيين متدينين.

لقد أسلم الألبان وكذلك البوسنيون، ولكن أحدا منهم لا يدعى بأنهم قد أكرهوا على ذلك.

فى عام ١٠٩٩م، احتل الصليبيون القدس وذبحوا سكانها المسلمين واليهود من دون تمييز، وكانت هذه الأمور تنفذ باسم يسوع طاهر النفس. فى تلك الفترة، وبعد ٤٠٠ سنة من احتلال المسلمين للبلاد، كان معظم سكان البلاد ما زالوا من المسيحيين. طيلة كل تلك الفترة لم تجر أية محاولة لفرض دين محمد على السكان.

لم تُعرف أية محاولة لفرض دين محمد على اليهود. لقد تمتع يهود إسبانيا، تحت حكم المسلمين، بازدهار لم يسبق له مثيل فى حياة اليهود حتى أيامنا هذه تقريبا. شعراء مثل يهودا هليفى كانوا يكتبون باللغة العربية، كذلك الحاخام موشيه بن ميمون.

كان اليهود فى الأندلس المسلمة وزراء، وشعراء وعلماء. لقد عمل فى طليطلة المسلمة مسلمون، ويهود ومسيحيون، معا على ترجمة كتب الفلسفة والعلوم اليونانية القديمة. لقد كان ذلك «عصرًا ذهبيًا» بالفعل.

كيف كان لهذا أن يحدث كله، لو كان النبى محمد قد أمر أتباعه «بنشر الإيمان بقوة السيف»؟

ولكن المهم هو ما حدث لاحقًا، حين استعاد الكاثوليكيون إسبانيا من أيدى المسلمين، فقد بسطوا فيها حكمًا من الإرهاب الدينى. لقد وقف اليهود والمسلمون أمام خيار قاس: اعتناق المسيحية أو الموت أو الهرب. وإلى أين هرب مئات آلاف اليهود، الذين رفضوا تغيير دينهم؟ لقد استقبل معظمهم على الرحب والسعة =

= فى الدول الإسلامية. لقد استوطن «يهود الأندلس» من المغرب فى الغرب وحتى العراق فى الشرق، من بلغاريا (تحت حكم الأتراك آنذاك) فى الشمال وحتى السودان فى الجنوب. لم تتم ملاحقتهم فى أى مكان. لم يواجهوا هناك أى شىء يضاهى تعذيب محاكم التفتيش، ولهيب المحارق، والمجازر والطرد الذى ساد فى معظم الدول المسيحية حتى حدوث الكارثة.

لماذا؟ لأن محمدًا قد منع بشكل واضح ملاحقة «أهل الكتاب». لقد تم تخصيص مكانة خاصة فى المجتمع الإسلامى لليهود وللمسيحيين. لم تكن هذه المكانة مساوية تمامًا، ولكنها كادت تكون كذلك.

كل يهودى مستقيم، يعرف تاريخ شعبه، لا يمكنه إلا أن يشعر بالعرفان تجاه الإسلام، الذى حمى اليهود طيلة خمسين جيلاً، فى الوقت الذى كان العالم المسيحى فيه يلاحقهم، وحاول فى العديد من المرات إجبارهم على تغيير دينهم «بالسيف».

قصة «نشر دين محمد بالسيف» هى أسطورة موجهة، جزء من الأساطير التى نشأت فى أوروبا أيام الحروب الكبيرة ضد المسلمين - إعادة احتلال إسپانيا من قبل المسيحيين، الحروب الصليبية وملاحقة الأتراك، الذين كادوا يحتلون ڤيينا. أشك فى أن البابا الألمانى يؤمن هو أيضًا بهذه الأساطير إيمانًا تامًا. هذا يعنى أن زعيم العالم المسيحى، وهو لاهوتى مسيحى هام بحد ذاته، لم يبذل جهدًا فى التعمق فى تاريخ أديان أخرى.

لماذا صرح بهذه التصريحات علنيا؟ ولماذا الآن بالذات؟

لا مناص من النظر إلى الأمور على خلفية الحملة الصليبية الجديدة التى يخوضها بوش ومؤيدوه الإڤانجيليكون، وحديثه عن «الفاشية الإسلامية» و«الحرب العالمية ضد الإرهاب»، بينما يتم توجيه كلمة «الإرهاب» إلى المسلمين. إن هذا الأمر بالنسبة لمن يوجه بوش هو محاولة ساخرة لتبرير الاستيلاء على مصادر النفط. هذه ليس المرة الأولى التى تلبس فيها المصالح الاقتصادية الجرداء قناعًا دينيًا، وهذه ليست المرة الأولى التى تتحول فيه حملة نهب إلى حملة صليبية.

يندمج خطاب البابا بشكل جيد فى هذه المساعى. ولا أحد يعرف ما هى النتائج الممكنة.

٢- قالت كارين آرمسترونج: فى كتابها الأصولية فى اليهودية والمسيحية والإسلام:

وفى عام ١٤٩٩م، خير المسلمون المقيمون فى إسپانيا بين اعتناق المسيحية وبين الترحيل من البلاد، فأصبحت أوروبا خالية من المسلمين وظلت كذلك قرونًا معدودة. أما الحدث الثانى الذى وقع فى تلك السنة الحافلة فكان فى يوم ٣١ مارس، وهو توقيع فرديناند وإيزابيلا (ملك وملكة إسپانيا، الكاثوليكيان جدًا) مرسوم الطرد الذى كان يرمى إلى إخلاء أوروبا من اليهود، وقد خُيروا أيضًا بين التعميد، أى اعتناق النصرانية وبين الترحيل. وكان الكثيرون من اليهود قد عز عليهم فراق وطنهم فى الأندلس (وهو اسم المملكة الإسلامية القديمة) إلى الحد الذى جعلهم يعتنقون المسيحية ويظلون فى إسپانيا، ولكن عددًا يبلغ نحو ٨٠٠٠٠ يهودى عبروا الحدود إلى البرتغال، وفر قرابة ٥٠٠٠٠ إلى الإمبراطورية العثمانية الإسلامية الجديدة حيث قوبلوا بالترحاب الحار [ص ١٨، ١٩].

كان قيام الإسپان بإعادة فتح الأراضى الإسلامية القديمة فى الأندلس بمنزلة كارثة لليهود فى شبه جزيرة أيبريا. أما فى الدولة الإسلامية فقد كانت الأديان الثلاثة - أى اليهودية والمسيحية والإسلام - تعيش معًا فى تناغم نسبى على مدى ما يربو على ستمائة عام، وكان اليهود بصفة خاصة يتمتعون بنهضة ثقافية وروحية فى إسپانيا، ولم يتعرضوا لما تعرض له اليهود فى سائر أوروبا من ألوان الاضطهاد [ص ٢٤].

فالواقع أن طرد اليهود من إسپانيا فى عام ١٤٩٢م كان ختاما للقرن الذى شهد حالات الطرد المتعاقبة لليهود من منطقة أوروپية بعد أخرى، إذ شهد ترحيلهم أولاً من ڤيينا ولينز فى عام (١٤٢١ م)، ومن كولونيا فى عام (١٤٢٤م) ومن أوغسبرج فى عام (١٤٣٩م)، ومن باڤاريا فى عام (١٤٤٢م)، ومن المدن التابعة =

جاءت البروتستانتية بأفكار هامة كثيرة، منها أن **البروتستانت هم الآن شعب الله المختار**، وبإعادة الاحترام والتقديس لبنى إسرائيل، **والأكثر أهمية، والأكثر خطورة على الشرق الأوسط وعلى العالم، فكرة ضرورة رجوع إسرائيل لأرضه، حتى يهبط المسيح ثانيًا، ويخلص العالم المسيحى للأبد.**

ترعرعت هذه الفكرة الأخيرة فى إنجلترا ثم أمريكا، وأصبح معظم البروتستانت يؤمنون بها، وخصوصًا أولئك الذين يعتبرون الكتاب المقدس وحيًا معصومًا، ويشترطون تفسيره حرفيًا، فقد أصبحوا يسعون لتلك النهاية، سعيهم وراء لقائهم بالمسيح، وخلاصهم الأبدى، ويعتبرون ما يلاقونه فى سبيل ذلك من صعوبات وعداوات، وتبادل الظلم، بل وحتى الموت وتبادل القتل، بمنزلة تضحيات فى سبيل المسيح. ومن هنا، نشأت الصهيونية المسيحية، قبل الصهيوينة اليهودية، فلم يكن اليهود فى ذلك الوقت (القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر) يفكرون فى العودة إلى جبل صهيون.

تسابقت الصهيونية المسيحية فى إنجلترا وأمريكا فى الدعوة لرجوع إسرائيل، وظهرت فى ذلك السباق شخصيات سياسية ودينية وأدبية مؤثرة منذ القرن السابع

= للتاج فى موراڤيا فى عام (١٤٥٤م). ثم طرد اليهود من بيروجيا فى عام (١٤٨٥م)، ومن ڤيشنزا (١٤٨٦م) وبارما (١٤٨٨م) وميلانو ولوكا (١٤٨٩م) وتوسكانيا (١٤٩٤م)، وانتقل اليهود تدريجيًا إلى الشرق، وشرعوا يقيمون ما ظنوه موقعًا حصينًا لهم فى پولندا، وهكذا أصبح المنفى، فيما يبدو، عنصرًا دائمًا محتومًا من عناصر الحياة اليهودية.

كان ذلك، بالتأكيد، ما رسخ فى أذهان اليهود الإسپان الذين لجؤوا بعد طردهم إلى ولايات الإمبراطورية العثمانية فى شمال إفريقيا وشبه جزيرة البلقان، فقد اعتادوا العيش فى المجتمع الإسلامى [ص٢٦].

أما فى العالم الإسلامى فلم يكن اليهود يتعرضون لمثل هذه القيود، فكان المسلمون يعتبرونهم مثل النصارى من الذميين (وأهل الذمة هم الأقلية التى تتمتع بالحماية مدنيًا وعسكريًا ما داموا يحترمون قانون الدولة الإسلامية وسيادتها) ولم يتعرض اليهود فى ظل الإسلام للاضطهاد، إذ لم تكن هناك تقاليد عداء للسامية، وعلى الرغم من أن الذميين كانوا يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية، فقد كانوا يتمتعون بالحرية الدينية الكاملة، وكان لهم أن يديروا شئونهم الخاصة وفقًا لشرائعهم، وكانوا أقدر من يهود أوروپا على المشاركة فى التيار الرئيسى للثقافة والتجارة [ص ٥٤].

٣ـ قال ول ديورانت فى موسوعة قصة الحضارة:

ولقى المنفيون «اليهود» من إسپانيا استقبالاً إنسانيًا فى القاهرة تحت حكم سلاطين المماليك والعثمانيين [جـ٢٦ ص١٥٩].

عشر، وحتى يومنا هذا، سنذكر عدداً قليلاً منها على سبيل المثال، فى ثنايا التعرف على الجذور الصهيونية فى كل من بريطانيا وأمريكا:

*** الجذور البريطانية للصهيونية المسيحية**

كانت بريطانيا كاثوليكية مثل كل أوروبا، وعندما ظهر مارتن لوثر وانشق على البابا، هاجمه هنرى الثامن ملك بريطانيا اللعوب، فى كتاب لاهوتى من الدرجة الأولى سماه «قضية المقدسات السبعة ضد مارتن لوثر» (*) ولكن عندما رفض البابا اعتبار زواج هنرى من كاترين (بنت فرديناند وإيزابيلا ملكى إسپانيا « الكاثوليكيين جدّا») باطلاً، ليتيح له أن يتزوج من عشيقته آن پولين، خرج الملك اللعوب من الكاثوليكية وتحول إلى البروتستانتية، ولكن على طريقته الاستبدادية، فأراد أن يكون بابا البروتستانت. تزوج هنرى عدة مرات، وأنجب أولاداً من زوجات وعشيقات كاثوليكيات وبروتستانت، فإذا جاء الابن أو الابنة من أم كاثوليكية، اعتنقها واضطهد البروتستانت، والعكس بالعكس. وفى ظل ذلك القمع والاضطهاد الدينى المتبادل، الذى وصل إلى حد القتل، بل وإخراج الموتى من قبورهم لوضعهم على الخازوق وإحراقهم، ظهرت طائفة البيوريتانز، وهى طائفة بروتستانتية متشددة انشقت على كنيسة إنجلترا البروتستانتية (الإنجليكانية)، وهاجر الكثير منها إلى هولندا ثم إلى القارة الجديدة، أمريكا.

*** السير هنرى فينش**

هو محام بارز، وعضو مجلس العموم الإنجليزى، وصاحب أول مشروع لإعادة اليهود لجبل صهيون، وذلك فى رسالة «دعوة اليهود وكل أمم الأرض إلى الإيمان بالمسيح» وكان ذلك عام ١٦٢١م(**).

*** قانون ١٦٤٤**

اشترط ذلك القانون على المرشحين للوزارة فى إنجلترا اجتياز اختبار فى قراءة نصوص العهد القديم باللغة العبرية واليونانية(***).

(*) رد عليه مارتن لوثر، ملقبًا إياه بالملك الحمار الحقير، الذى لا يعرف شيئًا.

(**) الصهيونيون المسيحيون، على الطريق إلى هرمجدون، ستيفن سايزر ـ الفريق العربى للحوار الإسلامى المسيحى، ص٢٦، وانظر أيضًا الكتاب المقدس والسيف ـ باربرا توخمان جـ ١ ص ١٥١ ـ مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

(***) المرجع السابق جـ ١ ص ١٥٢.

*** آل كارترايت**

فى عام ١٦٤٩م وفى ذروة الحكم البيوريتانى لإنجلترا، طلب آل كارترايت ـ وهما أخوان من الإنجليز البيوريتانز يعيشان فى أمستردام ـ من الحكومة الإنجليزية أن تصبح الأمة الإنجليزية والهولندية أولى وأكثر الدول استعداداً لنقل أولاد وبنات إسرائيل فى مراكبها للأرض الموعودة لأجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ليتملكوا ميراثهم إلى الأبد(*).

وتعلق باربرا توخمان ـ مؤلفة الكتاب المقدس والسيف ـ على تلك الفترة قائلة:

جاء الغزو العبرى للفكر الإنجليزى مع البيوريتانية من خلال مطالعة العهد القديم ـ [جـ ١، ص ١٤٠]... ومما ولع البيوريتانز بالعهد القديم بسبب تجربتهم فى اضطهاد الكنيسة المؤسسة (Established Church) لهم، فقد كانت تسوقهم إلى المشنقة بسبب رفضهم الاعتراف بسلطة خلاف سلطة الكتاب المقدس ـ [جـ ١، ص ١٤١]، وكان من شعاراتهم «ملعون من يقوم بعمل الرب متهاونًا، وملعون من حظر على سيفه الدم» ـ [سفر إرميا، الإصحاح ٤٨ : ١٠]، «أنت فأس معركتى وآلة حربى، بك أمزق الأمم إربًا وأحطم ممالك. بك أجعل الفرس وفارسها أشلاء، وأهشم المركبة وراكبها. بك أحطم الرجل والمرأة والشيخ والفتى والشاب والعذراء، بك أسحق الراعى وقطيعه، والحارث وفدانه والحكام والولاة» [سفر إرميا، الإصحاح ٥١، ١٩ : ٢٣].

وجاء حكم البيوريتانز:

*** أوليفر كرومويل**

قاد ثورة البيوريتانز فى الحرب الأهلية ضد الملك تشارلز الأول والتى استمرت من ١٦٤٢إلى ١٦٥١م، وحين خطط للمعركة، استشار نصوص الكتاب المقدس، وكانت صيحة الحرب: الله يا رب الجيوش [كثيراً ما أطلق العهد القديم هذا اللقب على الله]، ويتحدث كرومويل عن نفسه كرجل دعى لعمل عظيم فى إسرائيل... ويتحدث عن المجلس اليهودى الأعلى فى إنجلترا على أنه «إسرائيلنا البريطانية» و«صهيوننا

(*) المرجع السابق، جـ ١، ص١٣٧.

الإنجليزى» وأمر جنوده بالزحف فى صمت كما زحف جدعون على المديانيين [فى قتال بنى إسرائيل ضد المديانيين]، وأطلق جنوده على الملكيين عبدة البعل، وكانوا يهتفون فى قتالهم: اهلكى يا بابل الكتاب المقدس والسيف. [ص ١٥٥، ١٥٦].

حكم أوليفر كرومويل البيوريتانى إنجلترا، وقد سمح لليهود بالعودة إلى إنجلترا بعد أن طردوا منها لمدة ثلاثة قرون [Time Line History of England, Barnes &Noble, pages:250-254].

وتعلق باربرا توخمان على ذلك قائلة:

«كان رجال الدين، ومن يريد عودة اليهود لإنجلترا، يقولون بأن الناس الطيبين فى إنجلترا كانوا يؤمنون بعودة المسيح ويصلون من أجلها أكثر من أى شعب آخر، ويؤمنون بأنه يجب السماح لليهود بالعودة إلى إنجلترا [لتحقيق الشتات فى كل العالم قبل العودة لإسرائيل] لأجل تحقيق ظهور المسيح أو التحول [تحول اليهود للمسيحية]، وأنه يجب على إنجلترا أن تكفر عن ذنوبها تجاه اليهود أقارب المسيحيين بالدم، وإن لم يكن بالروح والإيمان، وينحدرون من نفس الأب إبراهام» [ص١٦٥] .

ويقول اللورد مورلى فى قصة حياة كرومويل: إنها كانت محاولة لتأسيس مجتمع مدنى بناءً على التعاليم الحرفية للكتاب المقدس. وفى بداية خطابه الافتتاحى للبرلمان، كان مأخوذًا برؤياه لنفسه على أنه نبى الله إيليا، يعيد شعب الله إليه، وقال للأعضاء: أنتم مدعوون من قبل الرب كما كان يهوذا مدعوّا، أنتم على عتبة الوعود والنبوءات، ثم تلا المزمور الثامن والستين: «يقول السيد: سأرجع أعداءكم من باشان، سأرجعهم من أعماق البحر، فتغمسون أرجلكم فى دمهم، وتأخذ ألسنة الكلاب نصيبها من الأعداء»، ويستمر مستعينًا بنصوص الكتاب المقدس، ويؤكد لسامعيه أن النصر الموعود فى المزمور الثامن والستين لشعب الله القديم سيتحقق على يد الكومونولث [الشعب الإنجليزى تحت قيادته]، شعب الله على الأرض [الكتاب المقدس والسيف، ص ١٦٢].

وكان كرومويل يبحث أيضًا عن أموال اليهود.

*** چون نيلسون داربى**

أسس كنائس الإخوان فى ألمانيا وسويسرا وفرنسا والولايات المتحدة، كذلك أسس عقيدة التدبيرية، ومفادها أن الله يدبر شئون الكون وفق خطة إلهية تهيئ الظروف المناسبة للمجىء الثانى للمسيح ـ بعد رجوع شعب إسرائيل لأرضه ـ ليحكم الألفية السعيدة. قام بعدة زيارات للولايات المتحدة. ويقول عنه ستيفن سايزر فى كتابه «الصهيونيون المسيحيون»، إنه الشخصية الأكثر تأثيرًا فى تطوير الصهيونية المسيحية، وإنه قام بعدة رحلات لأمريكا، ليشرح أفكاره عن التدبيرية، ونبوءات الكتاب المقدس، وإنه أثر على القادة الإيڤانجيليكيين أمثال چيمس بروكسى، ودوايت مودى ـ الملقب بأبى الأصولية الأمريكية ـ، ووليام بلاكستون، وسايروس سكوفيلد، وأولئك حملوا لواء الصهيونية المسيحية فى أمريكا من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين.

*** اللورد شافتسبيرى (١٨٠١ ـ ١٨٥٥م)**

اقتنع شافتسبيرى بأن عودة اليهود إلى فلسطين ليست فقط تحقيقًا لنبوءات الكتاب المقدس ولكنها أيضًا تلاقت مع المصالح الإستراتيچية للسياسة الخارجية البريطانية.

كتب شافتسبيرى عام ١٨٣٩م مقالة لمجلة « Quarterly Review »عنوانها «الدولة وعودة اليهود»، دافع فيها عن إقامة وطن قومى لليهود عاصمته القدس، على أن يبقى تحت الحكم التركى وبحماية بريطانية، وتكشف الفقرة التالية عن المشاعر المتناقضة، ومع ذلك المتوحدة، فى وجوب إعادة اليهود لأرض فلسطين:

«يجب تشجيع اليهود على العودة بأعداد أكبر إلى يهوذا والجليل... ومع أنهم متصلبو الرأى، وقلوبهم مظلمة، ومنغمسون فى الانحطاط الأخلاقى، وقساة القلوب، وجاهلون بالنسبة للإنجيل، إلا أنهم ليسوا مستحقين للأرض فحسب، لكنهم عامل حيوى لرجاء المسيحية فى الخلاص» [الصهيونيون المسيحيون، ص ٣٣].

برغم نظرته الدونية لليهود، فهم فى نظره الأداة أو الوسيلة الضرورية لعودة المسيح، بعودتهم إلى صهيون. ويشبهه فى هذه النظرة الدونية الكثير من المسيحيين

الغربيين، حتى تجد القس الإيفانجيليكى الصهيونى القح چون هاج(*) فى كتابه «العد التنازلى للقدس» يطالب المسيحيين فى الولايات المتحدة بالكف عن كراهية اليهود، كذلك كشفت تسجيلات البيت الأبيض عن ازدراء كل من الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون والداعية الأمريكى المتقاعد الأشهر بيلى جراهام لليهود، وما قد يفعلونه بأمريكا.

تزوج وزير الخارجية البريطانى، اللورد پالمرستون بحماة شافتسبيرى، الذى أقنعه برؤياه عن ضرورة عودة اليهود لأرض فلسطين، لتحقيق نبوءات الكتاب المقدس والإعداد للمجىء الثانى للمسيح، وعندما اقتنع پالمرستون، قال شافتسبيرى: لقد اختار الله پالمرستون ليكون أداة تعمل لصالح شعب الله القديم. وبعد أسبوعين من لقائهما، نشرت جريدة «لندن تايمز ـ London Times» فى ١٧/ ٨/ ١٨٤٠م مقالة تدعو لزرع الشعب اليهودى فى أرض فلسطين، طبقًا للعهد الإلهى بإعطاء تلك الأرض لنسل إبراهام.

وتقول المؤرخة باربرا توخمان:

لقد كانت دوافعه (شافتسبيرى) دينية، وليست سياسية مثل پالمرستون. لقد كان شافتسبيرى يمثل الكتاب المقدس، وپالمرستون يمثل السيف.

وتستأنف توخمان قائلة:

بالنسبة له [لشافتسبيرى] ولكل أعضاء مدرسة «إسرائيل من أجل تحقيق البشارة [أى المجىء الثانى للمسيح]» فإن اليهود ببساطة هم الأداة التى من خلالها يمكن أن تتحقق بشارة الكتاب المقدس.

ويقول شافتسبيرى لكاتب مذكراته: الإيمان بعودة المسيح كان دائمًا مبدأ محركًا فى

(*) الدكتور چون هاج مؤسس كنيسة «Corner Stone» فى سان أنطونيو ـ تكساس، ويتبعها ١٨٠٠٠ عضو ناشط. تبث برامجه الدينية السياسية ١٦٠ قناة تليفزيونية، و٥٠ محطة راديو، وتراه ٩٩ مليون أسرة، وهو من أقرب حلفاء إسرائيل، وأصدقاء نتنياهو. ونقرأ فى كتابه الشهير «العد التنازلى للقدس» خطوات إنتاج القنبلة النووية، وخريطة مفصلة للمواقع الإيرانية للطاقة النووية، وأحاديث مع «مصادره» الإسرائيلية والأمريكية الخاصة... !

حياتى، فأنا أرى كلها شيئًا يحدث فى العالم تمهيدًا لهذا الحدث العظيم. كان شافتسبيرى يصرح قائلاً «أنا إيڤانجيليكى الإيڤانجيليكيين».

وتعلق توخمان قائلة:

لقد أصبح فى أيامنا هذه من المستحيل، تقريبًا، أن نقدر بإنصاف دور الدين فى التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى. نحن لا نستطيع أن نحكم على دور الدين لأنا نفتقده. إن الدين ليس جزءًا من حياتنا، على الأقل بالمقارنة بدور الدين فى الحياة فى القرن التاسع عشر، **ولكن القرن العشرين هو وليد القرن التاسع عشر، وإذا كانت إنجلترا فى القرن العشرين تتولى إعادة إسرائيل إلى فلسطين، فذلك لأن المحرك الرئيسى للقرن التاسع عشر، فى مجمله، هو الدين.**

*** دزرائيلى، رئيس وزراء بريطانيا اليهودى**

أظهر دزرائيلى التخلى عن يهوديته، وأنه لا يهتم بغير الإمبراطورية، ولكن من أقواله التى ذكرتها باربرا توخمان:

«كان يسأل أعضاء المجلس فى مناقشة حول تحرير اليهود: أين مسيحيتكم إن لم تؤمنوا بيهوديتهم؟ عند مذبح كل كنيسة تجد الشريعة اليهودية. كل المسيحيين الأوائل كانوا يهودًا، كل من بشر بالمسيحية ونشرها كان يهوديًا. إذا لم تنسوا ما تدينون به لذلك الشعب، فعليكم كمسيحيين أن تكونوا على أتم استعداد لانتهاز أول فرصة للاستجابة لطلبات اليهود».

وتستمر توخمان قائلة عنه:

أظهر الفخر بجنسه وتراثه اليهودى، وكرر ذلك فى رواياته، وفى مقدمات الطبعات الأخيرة لها، وكتب فى السيرة الذاتية السياسية للورد بينتينك:

«لقد اكتشف العالم فى ذلك الوقت أنه من المستحيل تدمير اليهود، وأن محاولة صد القوانين الطبيعية الثابتة ـ التى تقرر أن الجنس السامى لن يدمر أبدًا، ولن يستعبد بجنس أقل منه مرتبة ـ ستكون محاولة بدون جدوى».

لقد كان يؤمن أن قوة إنجلترا وعزمها مشتق من القوانين الأخلاقية للعبرانيين التى

انتقلت إلى الإنجليز عن طريق الكتاب المقدس، وكان يقول إن إنجلترا رغم نظامها اللاهوتى الناقص والضئيل ظلت دائمًا تتذكر صهيون.

كذلك قالت توخمان عنه: «شعر بإيمان قديم الأزل تجاه فلسطين لا يمكن تفسيره. لقد كتب بعاطفة جياشة فى «الروى» عن إحياء مملكة إسرائيل، ولكنه لم يأخذ خطوة سياسية واحدة تجاه تحقيقها. لقد كان مهتمّا بديون العالم تجاه اليهود وليس مستقبل اليهود فى العالم»(*).

وقبل أن نختم الجذور البريطانية للصهيونية المسيحية بوعد بلفور، يجدر بنا العبور بسرعة على:

التنوير والليبرالية واليهود

والبقاء للأصلح

عانى اليهود من الكنيسة الكاثوليكية فى أوروبا، وتعصب الكاثوليك ضدهم، حتى طردوا من إنجلترا ومن فرنسا ومن ألمانيا، وقبل ذلك من إسپانيا، ولعدة قرون. ومع ظهور مارتن لوثر، خفت قبضة الكنيسة الكاثوليكية على أوروبا، وبمرور الوقت انقسمت أوروبا بين الطائفتين، وأثرت دعوة لوثر بالرجوع للكتاب المقدس وحده فى أن بدأت أوروبا البروتستانتية تقرأ فى العهد القديم عن أنبياء بنى إسرائيل وأبطالهم، وممارساتهم فى قتل وإبادة الأغيار طبقًا للأوامر الإلهية.

وانقلب التعصب ضد اليهود، والذى أدى لقمعهم ومصادرة أموالهم مرات عديدة فى أوروبا، وطردهم، وقتلهم، انقلب لدى البعض إلى احترام وحب لهم. ولكن اصطدم ذلك، خاصة فى روسيا الأرثوذكسية، بما وجده المسيحيون لدى اليهود من التكبر الناتج من القناعة بأنهم **شعب الله المختار**، والباقى هم **الأغيار**(**)، واصطدم فى بلاد أخرى مثل ألمانيا الكاثوليكية/ البروتستانية، بجاليات اليهود القوية وسيطرتهم

(*) باربرا توخمان مؤرخة يهودية، وتأسيس فكرة أن العالم مدين لليهود هى أحد الأركان التى بنى عليها الصهاينة وجوب مساعدة العالم لإسرائيل.

(**) اقرأ عن ذلك رسائل تولستوى فى المسألة اليهودية، تعريب موفق الديلمى، من منشورات دار ابن رشد. بيروت.

المتنامية على شئون الحياة التجارية والاقتصادية. وبالطبع **كان لدى المسيحيين أيضًا القناعة بأنهم شعب الله المختار سواء كانوا من الكاثوليك، أو البروتستانت**. كان اليهود يعيشون فى أوروبا فى جيتوهات خاصة بهم، ويعاملون - بصفة عامة - على أنهم بشر من الدرجة الثانية، وكان أحبارهم بمنزلة حكام لهم، وظهر ببطء تياران بين اليهود، يدعو أحدهما للذوبان فى البلاد التى يعيشون فيها، ويدعو الآخر للاستمرار فى الجيتوهات، حتى يظهر المسيح المنتظر، ولم يمثل التفكير فى العودة لفلسطين تيارًا رئيسيًا بين اليهود، وحتى مطلع القرن العشرين. وعندما تأكدت ملامح التنوير والليبرالية الأوروبية، زادت قوة التيار الذى يدعو للذوبان، فالتنوير والليبرالية الأوروبية كفيلان بإنهاء تراث التعصب المسيحى، والكاثوليكى بصفة خاصة ضد اليهود، واستبشر اليهود خيرًا بالمساواة وحقوق الإنسان، والليبرالية الثقافية، وكل توابع الفكر التنويرى فى أوروبا.

ولكن لم يجد التنوير ولا الليبرالية الأوروبية نفعًا أمام أسطورة الشعب المختار لدى كل من المسيحيين واليهود، وأمام الأسطورة العلمية الجديدة التى فجرها داروين عن البقاء للأصلح، فى عالم الحيوان وفى عالم الإنسان، فمن ابتعد عن الدين، برر قانون الغابة، والأخطر بين الجميع من جمع بين الأسطورة الدينية والأسطورة العلمانية فى تبرير ما يفعله بالآخر من كل أنواع الاستلاب، وحتى أبشع درجات الاستباحة، وكل ذلك فعله الطرفان فى مكانٍ أو آخر، وزمانٍ أو آخر(*).

يقول اليهود إن معاناتهم زادت منذ نهاية القرن التاسع عشر - الوقت الذى بدأت فيه أوروبا تحصد ثمار التنوير والليبرالية - من القمع والظلم ومصادرة الأموال والمذابح، فى أوروبا، ما بين روسيا فى الشرق، حتى فرنسا - التى يذكرون فيها قضية دريفوس الضابط اليهودى الذى اتهم بالخيانة باطلاً لأنه يهودى - إلى ألمانيا التى رفعت شعارات معاداة السامية مبكرًا، وأصدرت قوانين مايو ١٨٨٢م، التى تكفلت بتدمير الاقتصاد اليهودى فى ألمانيا، وإلى أن جاء هتلر بمذابحه.

(*) من أراد الاستزادة، يمكنه قراءة كتاب «الكتاب المقدس والاستعمار» القس مايكل بريور، من منشورات مكتبة الشروق الدولية.

بينما يقول الكاتب الروسى تولستوى، وهنرى فورد رجل الصناعة الأمريكى، إنه لا يوجد شعب أدمن الشكوى من الآخر مثل اليهود، فى الوقت الذى احترف فيه الاستفادة من الآخر واستغلاله والتآمر عليه.

ولدى كل الأطراف السابقة جزء من الصحة فيما يقول.

ولخصت توخمان موقف مفكرى اليهود فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بجملة كاشفة:

ثبت أن التنوير والليبرالية الأوروبية مجرد خداع!!

*** وعد بلفور عام ١٩١٧م**

لم يأت وعد بلفور من فراغ، فقد سبقه إعداد إعلامى فى الصحف والمجلات والكنائس والمعابد، وتشكيل العديد من اللجان وصناديق التمويل، لتعبئة الشعب الإنجليزى واليهود لإقامة إسرائيل من جديد، وجاءت الفرصة لتتويج ذلك العمل اللاهوتى الإمبريالى العنصرى بالنجاح على أرض الواقع، عندما تزايدت هجرة اليهود من روسيا إلى إنجلترا فى نهاية القرن التاسع عشر لما حل بهم من كوارث، مع رفض الإنجليز(*) - حتى المسيحيين الصهاينة منهم - لتلك الهجرة، والتى تسبب مشاكل متعددة، منها ما هو اقتصادى بمزاحمة الإنجليز فى أعمالهم وأموالهم، ومنها ما هو عنصرى، بالخوف على الجنس الأنجلوساكسونى الأعلى، من الجنس اليهودى الأدنى، وتزامن كل ذلك مع نضوج الأطماع البريطانية الإمبريالية فى الشرق الأوسط لموقعه الإستراتيجى فى الطريق إلى المستعمرات الأوروبية فى آسيا، وإفريقيا، ولم يكن البترول قد ظهر بعد على الساحة.

وماذا كان يحول دون تحقيق ذلك المشروع؟ تركيا؟ لقد أصبحت رجل أوروبا المريض الذى يتربص الجميع للانقضاض عليه، وهو ليس مريضًا فقط، بل هو مسلم متخلف أيضًا... تنجح فيه أسطورة شعب الله المختار - سواء كان المسيحى أو

(*) كذلك رفض الأمريكيون فى منتصف القرن العشرين هجرة الكثير من اليهود الفارين من أوروبا، وجاء فى كتاب «النبوءات الأمريكية - American Prophecies» أن الرئيس الأمريكى روزفيلت أصدر أوامره للبحرية الأمريكية بمنع باخرة أقلت ٩٢٥ يهوديًا من دخول أمريكا عام ١٩٣٩م [ص ٨٤، ٨٥].

اليهودى - وتنجح أيضًا أسطورة داروين فى البقاء للأصلح، وما تبعها من نظريات علمية قامت لتؤكد سمو العرق الأنجلوساكسونى على بقية الأعراق، ومن ثم حقهم فى نشر حضارتهم وسيادتهم على بقية العالم، وإذا لزم، فلا مانع من استبعاد ذلك العالم المتخلف إذا أبى الهدية المقدمة من الجنس الأعلى، ويمكن لهذا الاستبعاد أن يأخذ أشكالاً متعددة، من الحجز فى محميات إلى الاستئصال بالإبادة.

وما يقال عن تركيا، يقال أسوأ منه عن الفلسطينيين والعرب.

اقرأ مثلاً ما قاله وزير الخارجية، والصحفى والصهيونى الإنجليزى، لورنس أوليفنت الذى نشر عام ١٨٨٠م كتاب «أرض جلعاد»:

البدو المولعون بالحرب يجب أن يطردوا، أما العرب الفلاحون فيوضعون فى أراض خاصة بهم كالهنود الحمر فى أمريكا الشمالية(*).

واقرأ ما قاله بلفور:

ليس فى نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين. سواء كانت الصهيونية على حق أم باطل، فإنها متأصلة الجذور فى التقاليد القديمة، والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهى ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربى الذين يسكنون هذه الأرض القديمة(**).

لقد عمل الكثير من الصهاينة المسيحيين والصهاينة اليهود حتى خرج إعلان بلفور للوجود، منهم تشارلز وارن، الذى ألف كتاب «أرض الميعاد» فى عام ١٨٧٥م، والقس الإنجيليكانى الملحق فى السفارة البريطانية فى ڤيينا ويليام هشلر، والذى قام بدور رئيسى فى تقديم هيرتزل لمختلف الأوساط السياسية فى أوروبا الغربية، ورتب له لقاء مع دوق بادن عم القيصر الألمانى ويليام الثانى، والذى أسفر عن لقاءين مع القيصر بعد ذلك، ولقاء مع چوزيف تشامبرلين رئيس الوزراء البريطانى الذى - رغم عدائه لليهود، ورؤيته لهم على أنهم عرق أدنى من الأنجلوساكسون - رآهم صالحين للاستخدام فى زيادة رقعة الإمبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط.

(*) الصهيونية غير اليهودية، ريچينا الشريف، عالم المعرفة ص١٤١.

(**) المرجع السابق ص ١٥٩.

ولكن يبقى أهم شخصيتين وراء إعلان بلفور، آرثر چيمس بلفور، صاحب الإعلان، ووزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت، ولويد چورچ، رئيس الوزراء.

توفى والد لويد چورچ وهو صغير، فكفله خاله الواعظ المتطوع فى إحدى فرق المعمدانيين، ونشأ على خلفية صارمة من العهد القديم، وقال إنه يعرف عن تاريخ إسرائيل أكثر مما يعرف عن تاريخ إنجلترا:

«نشأت فى مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادى، وبمقدورى أن أذكر أسماء جميع ملوك بنى إسرائيل، ولكنى أشك إن كنت أستطيع ذكر أسماء بضعة ملوك لإنجلترا»(*).

وجاء فى مذكراته:

لقد تأكدنا من المكاسب السياسية والمعنوية المتوقعة من تقدمنا على هذه الجبهة، وبخاصة من احتلالنا القدس.

أما بلفور، فقد جمع الحسنيين: الأساطير الدينية، والأساطير العلمانية... بل حتى فى الأساطير الدينية، جمع الحسنيين: فالمسيحيون هم شعب الله المختار، وكذلك اليهود، ولكن أساطيره لم تمنعه من أن يرفض الهجرة اليهودية لإنجلترا فيقول:

ليس من مصلحة حضارة الوطن أن يكون كثير من الأشخاص الذين يبقون نتيجة تصرفاتهم شعبًا مستقلاً، ويعتنقون دينًا يختلف عن دين الغالبية العظمى من مواطنيهم ولا يتزاوجون إلا من بنى جنسهم.

وكان رد فعل المؤتمر الصهيونى السابع هو اتهام بلفور بمعاداة السامية(**).

ويفصل بلفور فكره السياسى بطريقة أوضح:

أهمية الصهيونية للعالم غير اليهودى تكمن فى محاولتها التقليل من الويلات الأبدية التى أصابت الحضارة الغربية نتيجه وجود جسم غريب بل معادٍ، هى غير قادرة على إبعاده أو استيعابه(***).

(*) المرجع السابق ص ١٦٣.

(**)المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

(***) المرجع السابق نفسه ص ١٥٨.

ويقول ستيفن سايزر عن بلفور:

ترعرع فى بيت إنجيليكانى، وكان متعاطفًا مع الصهيونية بسبب تأثير العقيدة التدبيرية، واعتبر أن التاريخ أداة لتحقيق القصد الإلهى [ص٣٧].

وقبل أن ننتقل إلى الصهيونية المسيحية فى أمريكا، نعلق تعليقًا عابرًا على وعد بلفور.

يتكلم الوعد عن تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين، وليس عن دولة، وينص على أنه «يكون مفهومًا بأنه لا تقوم أى أعمال يمكن أن تلحق الضرر والتحيز ضد الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين».

وليتأمل القارئ، كيف تحول الوطن القومى الذى لا يلحق الضرر بالطوائف المسلمة والمسيحية فى فلسطين، إلى دولة يهودية عنصرية عسكرية توسعية من الدرجة الأولى، احتلت، وتحتل حتى اليوم أراضى من فلسطين والأردن وسوريا ومصر، وتهدد بأن يدها الطويلة يمكن أن تمتد إلى الجزائر غربًا وإيران شرقًا، وتعبث فى جنوب السودان، ومنابع نهر النيل، وتخطط لعمل قناة تحل محل قناة السويس، وتعلن أمام الحكام العرب أن من الأفضل للعرب قبول قيادتها للمنطقة بدلاً من مصر.

أضافت أمريكا للأساطير السابقة، من الأساطير الأمريكية: المصير المحتوم، أو حمل الرجل الأبيض، أو رسالة الرجل الأبيض، ثم أخطر الأساطير جميعًا: هرمجدون(*)، والتى قامت على آخر أسفار العهد الجديد، رؤيا يوحنا، وأخيرًا وليس آخرًا، أسطورة النظام العالمى الجديد والعولمة، برغم تحذير هنرى فورد من اليهودى العالمى الذى يخطط لحكم العالم من القدس.

*** الصهيونية المسيحية فى أمريكا**

ما يزال غالبية العرب والمسلمين يتصورون أن الأمريكيين هم مَنْ يشاهدونهم فى أفلام هولى وود، بينما يقول الكاتبان الإنجليزيان ميكلثوايت، وولدريج فى «أمة اليمين» إن من يكتفى بزيارة الساحلين الشرقى والغربى للولايات المتحدة، بمدنها

(*) يؤول بعض علماء الكتاب القدس المسيحيين، رؤيا يوحنا، بأنها تستلتزم عودة اليهود إلى فلسطين، وقيام حرب فى موقع يسمى هرمجدون، تسيل فيه الدماء إلى ارتفاع ألجمة الخيل ولمسافة ٣٢٠ كليومتر، مما أولوه على أنها حرب نووية، يموت منها ٢٠٠ مليون، وبالطبع هم العرب (مسلمون ومسيحيون) ومن يحالفهم ضد المسيح وجيوشه، وذلك لتبدأ الألفية المسيحية السعيدة.

الكبيرة نيويورك وواشنطن، وساحل فلوريدا فى الجنوب، ثم سان فرانسيسكو ولوس أنچلوس على الساحل الغربى، فهو لم يعرف أمريكا، فأمريكا هى أمة اليمين، أى أمة الصلاح والتقوى، أمة المحافظين وليس الليبراليين، أمة الصواب. الشعب الأمريكى هو أكثر شعوب الأرض تدينًا... هذا ما قاله ريتشارد هاس ـ مخطط الإستراتيچية فى وزارة الخارجية الأمريكية ـ منذ عدة أعوام فى التليفزيون، ردًا على تساؤل د. عبد المنعم سعيد: عندما نسمع الرئيس بوش يتكلم بأسلوبه الدينى عن الخير والشر، فإنه يذكرنا بكلام الملالى الذين يحكمون إيران؟! ضحك هاس قبل أن يجيب بأن ذلك ما يؤثر فى الشعب الأمريكى، فهو أكثر شعوب الأرض تدينًا.

يذهب أسبوعيًا إلى الكنيسة واحد من كل اثنين من المسيحيين فى أمريكا.

قرأ الشعب الأمريكى كتبًا دينية قيمتها ١,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار عام ٢٠٠٣م، أى أكثر من ١٠ بلايين جنيه ـ كتاب بريتانيكا لعام ٢٠٠٥م ـ، ولا أظن أن كل المسلمين منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، قرءوا كتبًا دينية قيمتها ١٠ بلايين جنيه(*).

فقد هاجر البيوريتانز، وهم المسيحيون البروتستانت المتشددون، إلى العالم الجديد فى مطلع القرن السابع عشر، ليعبدوا الله بالطريقة الصحيحة، ولينشروا المسيحية، وبنص كلمات ميثاق «زهرة مايو ـ May Flower»، المركب التى أقلتهم إلى أمريكا:

«باسم الله، نحن الموقعين على هذا، الرعايا المخلصين لمولانا الملك المهيب چيمس، بفضل الله، ملك بريطانيا العظمى وفرنسا وأيرلندا، وحامى الدين. لما كنا قد قمنا بهذه

(*) ومن يريد الاستزادة عن تدين الشعب الأمريكى، وتأثير الدين على حياته، السياسية وغير السياسية، فأرشح له القائمة الآتية من الكتب الأمريكية المترجمة إلى العربية:

* أرض الميعاد والدولة الصليبية: والتر مكدوجال ـ دار الشروق.
* الدين والسياسة فى الولايات المتحدة: مايكل كوربت، چوليا ميتشل كوربت ـ مكتبة الشروق الدولية.
* أصول التطرف: اليمين المسيحى فى الولايات المتحدة: كيمبرلى بلاكر ـ مكتبة الشروق الدولية.
* تاريخ نهاية العالم: جوناثان كيرش ـ مكتبة الشروق الدولية.
* بلد الله: والتر راسيل ميد ـ مكتبة الشروق الدولية.
* أمة اليمين: چوناثان ميكلثوايت، أدريان وولدريچ ـ مكتبة الشروق الدولية.

ومن الكتب العربية:

* الصهيونية غير المسيحية ـ ريچينا الشريف ـ عالم المعرفة.
* المسيح اليهودى ونهاية العالم ـ رضا هلال ـ مكتبة الشروق الدولية.
* البعد الدينى فى السياسة الأمريكية ـ د. يوسف الحسنى ـ مركز دراسات الوحدة العربية.
* مقدمة فى الأصولية المسيحية فى أمريكا والرئيس الذى استدعاه الله وانتخبه الشعب الأمريكى مرتين ـ عادل المعلم ـ مكتبة الشروق الدولية.

الرحلة تمجيدًا لله وإعلاءً لشأن المسيحية، وتبجيلا لمليكنا وأمتنا، ولننشئ أول مستعمرة فى الجزء الشمالى من ڤيرچينيا، فإننا بموجب هذا الميثاق نتعاقد بإخلاص أمام الله، ونكون منا هيئة مدنية سياسية لتحسين أمورنا وصيانة حياتنا وتعزيز هذه الأغراض المذكورة، وبناء على ذلك سنسن من وقت لآخر من القوانين واللوائح العادلة ونقرر من النظم والوظائف ما نعتقده فى مصلحة المستعمرة وخيرها الشامل، ونتعهد بالخضوع لها وطاعتها».

رأى البيوريتانز المهاجرون للعالم الجديد أنهم شعب الله المختار (الجديد)، الذى يعبر المحيط (بدلاً من البحر الأحمر أو خليجه أو بحيراته) إلى أرض الميعاد (الجديدة) أمريكا، وأن أصحاب الأرض الأصلية، أى ما سموهم الهنود الحمر، هم الكنعانيون، وأعداء إسرائيل. عاش الأمريكيون دورهم كشعب الله المختار، يترددون بين طاعة الله وعصيانه، مثل اليهود فى العهد القديم، إلى نهاية القرن التاسع عشر، حين ألمت بهم ثلاث صدمات كبرى. . . . الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب، والتى استمرت أكثر من خمس سنوات، وحصدت أرواح أكثر من نصف مليون أمريكى، بخلاف الجرحى والمصابين، ولم يكن تعداد الأمريكيين ذلك الوقت يتجاوز ٣٠ مليونًا. . . . ثم موجات الهجرة الأوروبية، بما حملته من كاثوليك ويهود وعلمانيين وليبراليين على الطريقة الأوروبية. . . وأخيرًا ظهر داروين بكتابيه عن الخلق والتطور. . . وما جاء به مخالفًا لرواية الكتاب المقدس عن بداية الخلق. . . وانقسم المسيحيون الملتزمون إلى الأصوليين(*) الذين يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس وضرورة تفسيره الحرفى، من ضمن أفكار أخرى، والمسيحيين الملتزمين الليبراليين، الذين رأوا أن الاتجاه الأول سيجلب مشاكل على المسيحية، وسيخلف آثارًا مدمرة عليها؛ ولذلك يجب ألا يؤخذ الكتاب المقدس حرفيًا، بل الواجب هو تحويله لإنجيل اجتماعى، لعمل الخير فى المجتمع.

ومع توالى الأخطاء البشرية الكبرى، وتزايد حدتها وأحجامها وآثارها ومعدلاتها، فى أمريكا والعالم، بدأ تطوير فكرة المجىء الثانى للمسيح إلى أن مجيئه يجب أن يسبق

(*) ظهر مصطلح أصولى فى الولايات المتحدة عام ١٩١٢م، مع نشر سلسلة الأصول، التى تبين الأصول التى تقوم عليها العقيدة المسيحية.

الألفية السعيدة التى يعيش فيها المجتمع المسيحى فى سلام وكمال، بعد أن تأكد علماء التدبيرية بأن الأمور تسير من السيئ إلى الأسوأ، خاصة بعد نشوب الحربين العالميتين، الأولى والثانية، وأنه لن يصل المجتمع المسيحى أبدًا إلى ذلك السلام والكمال الذى يشترطونه لتحقيق المجيء الثانى للمسيح، بل تطرف البعض منهم قائلاً إن تحقيق السلام لن يأتى بالمسيح، بل تأتى به الفوضى العارمة، والمزيد من الصراعات والحروب، والتى تنتهى بمسك الختام، معركة هرمجدون.

مرت المسيحية فى أمريكا بعدة صحوات كبرى، بمعدل مرة كل قرن، ورأى البعض أن الصحوات استمرت بما يشبه التلاحم. وبالطبع كانت هناك جولات عديدة بين الأصوليين والإيڤانجيليكيين والمحافظين من جانب، والليبراليين المسيحيين من جانب آخر، تبادلا فيها البروز والظهور، وكانت آخر جولة لليبرالية المسيحية فى ستينيات القرن الماضى، ومن بعدها تصاعد مد المحافظين وفى إثره الإيڤانجيليكيين والأصوليين، وحتى اليوم.

أضاف الأصوليون الأمريكيون أسطورة هرمجدون ونهاية الزمان، بتأويل ـ برغم أنهم يصرون على التفسير الحرفى للكتاب المقدس(*) ـ سفر الرؤيا، آخر أسفار العهد الجديد.

وسفر الرؤيا ملىء بالأحلام والرموز التى تتسع لتأويلات متباعدة، انتقى منها الأصوليون والإيڤانجليكيون ضرورة قيام إسرائيل، وضرورة نشوب حرب دموية فى موقعة هرمجدون، يصل فيها الدم إلى ألجمة الخيل، ولمسافة ٣٢٠ كيلومترًا (طبقًا لشرح السفر).

«وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها فى مكان يسمى بالعبرية هرمجدون» [الرؤيا ١٦ : ١٦].

ولقد مثل قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٧م لدى الصهاينة ـ والمسيحيين الأصوليين والإيڤانجيليكيين والمحافظين ـ تحقيقًا لنبوءات الكتاب المقدس بعهديه، القديم والجديد،

(*) هناك فى العهد القديم آية بمنزلة حجر عثرة لكل من يصر على التفسير الحرفى للكتاب المقدس من المسيحيين، ويصر فى الوقت نفسه على أرض الميعاد وشعب الله المختار، فقد جاء تحت عنوان العهد والختان: . . «ها هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك . . . أن يختتن كل ذكر منكم . . أما الذكر الأغلف الذى لم يختتن، يستأصل من بين قومه» [سفر التكوين ١٧ : ١٠ - ١٤].

ثم جاءت حرب ١٩٦٧م لتشعل صحوة صهيوينة متأججة، استمرت فى التزايد حتى اليوم تقريبًا. ولكن لا يفوتنا التنويه عن أن بعضًا من الصهاينة، يهودًا ومسيحيين، انقلبوا ضد الصهيونية لما رأوه من ممارسات إسرائيل مع الفلسطينيين، ومع الدول العربية، وكذلك لا يفوتنا أن نخص بالذكر الناشطة الأمريكية اليهودية، الشابة اليافعة راشيل كورى، التى ذهبت لمعاينة الواقع، فتعاطفت مع الحق الفلسطينى حتى دفعت حياتها ثمنًا لاعتراضها بلدوزر إسرائيلى فى طريقه لتدمير بيت فلسطينى فى غزة.

وقد تزامن استواء الصهيونية المسيحية فى أمريكا، فى منتصف القرن الماضى، مع تطلعات الإمبراطورية الأمريكية لحكم العالم، بعد أن خرجت المنتصر الأكبر من الحرب العالمية الثانية، ثم تزايد النفوذ اليهودى بصفة عامة، والصهيونى بصفة خاصة منذ منتصف القرن، حتى وصل ذروته بعد حرب ١٩٦٧م، واقرأ ما كتبه حما بيلى جراهام، الداعية الإيفانجيليكى الأكبر فى القرن الماضى، ورئيس تحرير مجلة «المسيحية اليوم» فى افتتاحيته:

لأول مرة منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة، أصبحت القدس تحت سيطرة اليهود، وهذا ما يعطى طلاب الكتاب المقدس الفرح والإيمان المتجدد بصحة ومصداقية الكتاب المقدس.

سيطر على معظم المسيحيين الأمريكيين مفهوم أن الرب يبارك من يبارك إسرائيل، ويلعن من يلعن إسرائيل، لدرجة أن بعضهم رفع شعار: **إسرائيل مفتاح بقاء أمريكا!** وتطلعوا لحرب هرمجدون، وظهرت فى ذلك الروايات والمسلسلات والأفلام، من بينها سلسلة هرمجدون، للقس تيم لاهاى والروائى چيرى چينكنز، وقد وزعت أكثر من ٦٣ مليون نسخة، وصدر منها عملاً يناسب الفتيان، كذلك وزع كتاب هال ليندسى «الكرة الأرضية العظيمة السابقة ـ Late Great Planet Earth» أكثر من عشرين مليون نسخة، وتحول إلى فيلم سينمائى.

وتروى الكاتبة جريس هالسل، والتى عملت فى إدارة الرئيس چونسون، فى كتبها كيف كان ريجان ينتظر هرمجدون ويقتنع بأنه يعيش الجيل الذى سوف يشهدها؛ ولذلك لم يكن يهتم بالعجز فى الميزانية، فهرمجدون على الأبواب، وبرر بعض المحللين قصفه ليبيا بأنه كان يتصور أن تلك بداية هرمجدون. كذلك تروى جريس

هالسل، وغيرها، كيف كان ريجان يستعين بغلاة الصهاينة مثل چيرى فالويل، الذى مات قريبًا، وهال ليندسى، ليشرحوا لمجلس الأمن القومى، وچنرالات وزارة الدفاع، ماذا على أمريكا أن تفعل إذا ما قامت هرمجدون!

وبرغم بدء ظهور أصوات قوية فى أمريكا ضد سياستها فى الشرق الأوسط، مثل تلك الدراسة التى أعدها البروفيسور ستيڤن إم. والت أستاذ العلوم السياسية فى جامعة هارڤارد - التى يقال إن خرجيها يحكمون العالم - والبروفيسور چون چيه. ميرشايمر من جامعة شيكاجو بعنوان «اللوبى الإسرائيلى وسياسة أمريكا الخارجية» والتى تخلص إلى أن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط تخدم مصالح إسرائيل وليس مصالح أمريكا، وكذلك صدور كتاب الرئيس السابق كارتر عن الجدار العنصرى فى إسرائيل، وقيام عدة مؤسسات وكنائس بمعارضة السياسة الإسرائيلية، فإن التحيز الأمريكى الصارخ لإسرائيل يتزايد منذ أيام ترومان(*)، الذى اعترف بإسرائيل بعد بضعة دقائق من إعلان قيامها(**)، بل إنه تضاعف أضعافًا مضاعفة مع **چورچ بوش الإيڤانجيليكى، إن لم يكن الأصولى، والذى يؤمن بأن الله كلفه برئاسة الولايات المتحدة، وبتنفيذ مخططاته فى الشرق الأوسط.**

القرن الواحد والعشرون

- الإمبراطورية الأمريكية والعولمة وهرمجدون

- واليهودى العالمى وهرمجدون

تجادل الصفحات السابقة أن وعد بلفور، وتقسيم فلسطين، وقيام الدولة اليهودية، ما هو إلا نتاج تضافر عوامل دينية ودنيوية... أو دينية وعلمانية.

(*) ليس من المستغرب أن ينحاز معظم صانعى السياسة والإعلام فى الولايات لإسرائيل، فهناك من ينحاز لدافع دينى، وهناك من ينحاز استجابة للضغوط الصهيونية، مع عدم وجود أى ضغوط عربية أو إسلامية مقابلة.

(**) اعترف ترومان بإسرائيل، ووافق على قرار تقسيم عام ١٩٤٧م فلسطين برغم معارضة وزارة الخارجية ووزارة الدفاع، ومعارضة شركات البترول لمصالحها مع العرب، وأسس ترومان ذلك على خلفيته التوراتية، وتروى ريچينيا الشريف أنه فى أحد التجمعات اليهودية لتكريم ترومان، قدمه المضيف على أنه ساعد كثيرًا فى قيام دولة إسرائيل، فاعترض ترومان قائلاً « بل أنا قورش الذى أعاد إسرائيل» وقورش هو الملك الفارسى الذى يحكى العهد القديم أنه أعاد إسرائيل من السبى إلى فلسطين.

فاليهود شعب الله المختار، الذى يجب أن يعود لأرض إسرائيل، تلك هى عقيدة البروتستانت، أو الواسب (White Anglo Saxon Protestant) . وبرغم أن اليهود شعب الله المختار، فالأنجلوساكسون ـ وهم أيضًا شعب الله المختار، بصفة خاصة، وأوروبا بصفة عامة ـ تراهم عرقًا أدنى، فلا يريدون اليهود بينهم، والحل الأمثل لذلك إرسالهم لفلسطين، ليعملوا لحساب الإمبراطورية البريطانية، وبذلك يتم إصابة ثلاثة عصافير بحجر واحد.

تزعمت الولايات المتحدة العالم الغربى بعد الحرب العالمية الثانية، ثم تزعمت العالم كله بعد تفكك الاتحاد السوفييتى، **ومثّل الإيڤانجيليكيون ربع عدد الناخبين الأمريكيين (٧٠ - ٨٠ مليونًا تقريبًا)، وأصبحوا يشكلون السياسة الأمريكية، داخليًا وخارجيًا**(*)، ومن ثم أصبح الالتزام بإسرائيل، بقاؤها وتفوقها العسكرى على كل البلاد العربية، انتظاراً وتطلعًا لهرمجدون، التزامًا أخلاقيًا رئيسيًا فى سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، وتفاعل ذلك مع زيادة النفوذ الصهيونى واليهودى، مما أسفر عن السيطرة الصهيونية واليهودية على وسائل الإعلام، وعلى سياسة الإدارة الأمريكية والكونجرس فى الشرق الأوسط.

وعلى التوازى مع ذلك، رأت قوى العولمة، وهى مزيج فريد من اليمين السياسى والرأسمالية، رأت فى الإسلام الأيديولوچى، الأيديولوچيا الوحيدة الباقية التى قد تمثل حجر عثرة فى سيطرتها على العالم.

وبدأت الإدارة الأمريكية، وتتبعها حكومات أوروبا الغربية، فى التخطيط لبرنامج طويل الأجل، يعمل على تغيير أفكار وعقول وتعليم وثقافة ودين العرب والمسلمين، حتى يرضخوا للنظام العالمى الجديد حسبما تراه الإدارة الأمريكية، ومن أساسياته قبول إسرائيل.

وتصاعد مع كل ذلك نفوذ اليهودى العالمى، كما سماه ورآه هنرى فورد فى عشرينيات القرن الماضى، وهو اليهودى الذى يريد أن يحكم العالم كله من القدس(**)

(*) اقرأ ذلك فى مقالة: « بلد الله»، فى الدورية السياسية الأمريكية الشهيرة: Foreign Affairs، عدد سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٦م، ونشرتها مكتبة الشروق الدولية باللغة العربية بالاسم نفسه « بلد الله».

(**) كتب هنرى فورد سلسلة من المقالات عن ذلك، جمعها كتاب «International Jew»، وترجمته مكتبة الشروق الدولية فى أربعة أجزاء.

فلم تعد القضية تقتصر اليوم لدى اليهودى العالمى على العودة إلى صهيون أو أرض إسرائيل، بل فى حكم الشرق الأوسط ثم العالم من عرش داود وهيكل ابنه سليمان، رغم أن الكتاب المقدس يروى أن سليمان تزوج بنساء أجنبيات، فأغرينه على عبادة الأوثان من آلهتهن، فاستجاب لهن، أى أنه أصبح النبى الكافر، وبنص الكتاب المقدس:

زوجات سليمان:

«وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات فضلاً عن ابنة فرعون، فتزوج نساء موآبيات، وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، وكلهن من بنات الأمم التى نهى الرب بنى إسرائيل عن الزواج منهم قائلاً لهم: «لا تتزوجوا منهم ولاهم منكم، لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتهم». ولكن سليمان التصق بهن لفرط محبته لهن. فكانت له سبعمائة زوجة، وثلاثمائة محظية، فانحرفن بقلبه عن الرب. فاستطعن فى زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة أخرى، فلم يكن قلبه مستقيمًا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. وما لبث أن عبد عشتاروث آلهة الصيدونيين، وملكوم إله العمونيين البغيض، وارتكب الشر فى عينى الرب، ولم يتبع سبيل الرب بكمال كما فعل أبوه داود. وأقام على تل شرقى أورشليم مرتفعًا لكموش إله الموآبيين الفاسق، ولمولك إله بنى عمون البغيض. وشيد مرتفعات لجميع نسائه الغريبات، اللواتى رحن يوقدن البخور عليها ويقربن المحرقات لآلهتهن» [سفر الملوك الأول، ١١: ١-٨].

وعيد الرب لسليمان:

فغضب الرب على سليمان لأن قلبه ضل عنه، مع أنه تجلى له مرتين، ونهاه عن الغواية وراء آلهة أخرى، فلم يطع وصيته؛ لهذا قال الله لسليمان «لأنك انحرفت عنى ونكثت عهدى، ولم تطع فرائضى التى أوصيتك بها، فإنى حتمًا أمزق أوصال مملكتك، وأعطيها لأحد عبيدك، إلا أننى لا أفعل هذا فى أيامك، من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها، غير أنى أبقى له سبطًا واحدًا، يملك عليه إكرامًا لداود عبدى، ومن أجل أورشليم التى اخترتها» [سفر الملوك الأول، ١١: ٩-١٣].

وبعـــــد

قامت دولة إسرائيل اليهودية على اجتماع أساطير دينية وعلمانية وعنصرية (الشعب المختار ـ أرض الميعاد ـ شروط المجيء الثانى للمسيح وهرمجدون)، وأسطورة البقاء للأصلح الداروينية، وحمل الرجل الأبيض فى نشر ثقافته وقيمه فى العالم، مع أطماع الرأسمالية العالمية ـ المتغيرة ـ كل ذلك على حساب سكان المنطقة الغافلين والواهمين، وندرة من الغانمين، برغم أنهم لم يعادوا اليهود، ولم يفعلوا بهم ما فعلته أوروبا المسيحية، ولا أوروبا الليبرالية التنويرية.

دفعت المنطقة ثمنًا غاليًا لذلك، وما زال الثمن الأغلى قادمًا، من أجل عيون صهيون، والجنس الأعلى، والدولار الأمريكى.

عـادل المعلـم